مكتبة البحوث
قسم الدوريات

عدد خاص بمناسبة العيد العاشر لجامعة قطر

حولية كلية الآداب والعلوم الاجتماعية

غير مسموح بنسخه من المكتبة

العدد السابع
١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

دراسة عن النقوش الصخرية في قطر

دكتور فتحي عفيفي بدوي
أستاذ مساعد بقسم التاريخ

لم يلق تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم ما يستحقه من جهود العلماء ودراساتهم المتعمقة على الرغم من الأهمية الواضحة لهذه المنطقة من بلاد العالم بصفة عامة والعالم الإسلامي والعربي بصفة خاصة ، فلا زالت تكمن في ربوع شبه الجزيرة وفي بطون رمالها آثار حضارات عربية قديمة لم يبدأ العلم الحديث في الكشف عنها والتعرف على كنهها بعد .

وأثبتت الدراسات الأثرية التي أجريت بها حتى الآن أن عهد الاستيطان البشرى فيها يعود إلى أقدم عصور ما قبل التاريخ ، كما أوضحت الدراسات الانثروبولوجية الحديثة أن جنوب شبه الجزيرة العربية يعتبر المنبت الأصلي للعناصر السامية الأولى . وهي العناصر التي أخذت موجاتها تنتشر تباعاً ، تارة باتجاه الهلال الخصيب شمالاً حيث الحضارات الشرقية القديمة وفي مقدمتها البابلية والآشورية والكلدانية والكنعانية والعبرانية ، وتارة أخرى باتجاه افريقيا عبر بوغاز باب المندب غرباً حيث الحضارات الافريقية القديمة وفي مقدمتها الحضارة الفرعونية ، هذا بالإضافة إلى ما ظهر في شبه الجزيرة العربية ذاتها من حضارات قامت في معين وسبأ وحمير وامتد شعاعها نحو الحيرة وغسان فأضاءت شعلة الحضارة العربية الإسلامية بكل مقوماتها وأبعادها المعروفة . ولعل من الدلائل التي تشير إلى ذلك تلك النقوش الصخرية التي تم التعرف عليها في دولة قطر والتي سجلها الإنسان العربي القديم على سطوح عدد من تلالها الصخرية معبراً بها عن أفكاره وارادته خلال إحدى مراحل تاريخه القديم .

ويمكن أن نستعرض هذه النقوش ومواقعها على النحو التالي :

أولاً : نقوش الوكرة :

وتوجد على سطح تل صخري يقع شمالاً غرب مدينة الوكرة التي تبعد حوالي ١٦ كم إلى الجنوب من مدينة الدوحة على الشاطىء الشرقي لقطر ، ويرتفع هذا التل إلى حوالي ٢١ متراً فوق سطح البحر حيث يوجد على سطحه عدد من الوحدات المنقورة في الصخر ، وتشكل كل وحدة صفين متوازيين من الحفر الصغيرة المستديرة التي يصل عددها إلى ١٤ حفرة ، ويتراوح متوسط طول قطر كل حفرة ما بين ١٠ - ١٢ سم ، وعمقها ما بين ٦ - ١٤ سم .

هذا وقد تأثر سطح التل كثيراً بفعل عوامل التعرية الطبيعية (١) التي يمكن ملاحظتها بسهولة ، مما يشير إلى ضياع الكثير من الوحدات التي حفرت عليه .

ثانياً : نقوش القصار :

وتوجد على سطح تل صخري يبعد حوالي ٨ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة الدوحة ، حيث عثر على عدد قليل من الوحدات المنقورة في الصخر على شكل دائرة تتكون من مجموعة من الحفر الصغيرة المستديرة ، ويحتمل أن يكون عدد كبير منها قد اندثر بفعل عوامل التعرية الواضحة على سطح الصخر . غير ذلك فقد عثر إلى الغرب منها على نقوش محفورة تعتبر الوحيدة من نوعها التي اكتشفت في قطر ، وهي تتألف من أشكال آدمية وحيوانية تمثل ناقتين وفارسين رافعين رمحيهما وهما في حالة هجوم . ونقشت بأسلوب مختزل فيه الكثير من الواقعية . وقد تم نقل هذه النقوش إلى متحف قطر الوطني عام ١٩٧٩ بسبب استحالة المحافظة عليها في موقعها الأصلي .

ثالثاً : نقوش سميسمة :

تقع قرية سميسمة على مسافة ٤٥ كم إلى الشمال من مدينة الدوحة . ويوجد بالقرب منها مجموعة من التلال الصخرية التي تمتد بمحاذاة الساحل الشرقي لقطر . وقد عثر على سطح إحدى هذه التلال على وحدات منقورة في الصخر متناثرة فوق السطح وتتكون عناصرها من عشرات الحفر الصغيرة التي يتراوح طول قطرها مابين ١٠ - ١٢ سم ، ويبلغ عمقها مابين ٦ -١٥ سم وهي في مجملها تكون أشكالاً مختلفة ، فالبعض من هذه الوحدات يأخذ شكلاً دائرياً ويتكون من مجموعة من الحفر المستديرة التي تلتف حول حفرة مركزية أكبر قطراً وأكثر عمقاً ، والبعض الآخر يأخذ شكل صفين متوازيين وأحياناً أربعة صفوف متوازية من الحفر الصغيرة المستديرة ، والبعض الآخر من

هذه الوحدات عبارة عن خطوط غير منتظمة الشكل ومحفورة حفراً غير عميق . إذ يتراوح طولها مابين ٨٠ - ١٤٠ سم ، بينما تبلغ أعماقها في سطح الصخر مابين ٢ - ٤ سم ، وتلتقي جميعها بحفرة كبيرة يبلغ طول قطرها ٢٠ سم وعمقها ١٨ سم .

رابعاً : نقوش الجساسية :

يقع تل الجساسية على بعد ٨٠ كم إلى الشمال من مدينة الدوحة ، وفي محاذاة الشاطىء الشرقي لقطر ، ويتناثر على سطح صخورة مئات من الوحدات المنقورة التي تتميز بتعدد أشكالها . إذ توجد وحدات من الحفر الصغيرة على شكل صفين متوازيين ومتجاورين ويحتوي كل صف ما بين ٧ - ١١ حفرة . كما توجد إيضاً وحدات على شكل دائرة تتكون من مجموعة من الحفر الصغيرة المستديرة البالغ عددها مابين ٦ - ١٠ حفر ، وتلتف حول حفرة مركزية أكبر حجماً وأكثر عمقاً ، إذ يبلغ طول قطرها حوالي ١٤ سم وعمقها حوالي ٦ سم ، إلى جانب ذلك توجد وحدات أخرى بعضها على شكل حفر بيضاوية أو مستديرة (٢) والبعض الآخر على شكل قوارب (٣) يتراوح أطوالها مابين ٩٠ - ١٢٠ سم ، وقد حفر بالقرب من جانبيها وفي داخلها حفر صغيرة مستديرة الشكل يصل فيما بينها مجرى ضيق غير عميق الحفر . فضلاً عن ذلك توجد وحدات أخرى منقورة على سطح الصخر تمثل خطوطاً ممتدة لكنها غير عميقة الحفر ، وتتصل بما يشبه الأحواض أو الحفر الاسطوانية البالغ طول قطرها حوالي ٢٥ سم ، وعمقها حوالي ١٢ سم .

خامساً : نقوش فويرط :

يقع تل فويرط على مقربة من الساحل الشرقي لقطر ويبعد أكثر من ٨٥ كم إلى الشمال من مدينة الدوحة ، ويوجد على سطح صخوره العديد من الوحدات التي تتكون من حفر صغيرة على شكل صفين متوازيين ومتجاورين ويحتوي كل صف منهما على حوالي ٧ حفر ، وفي حالة قليلة توجد وحدات تشبه في شكلها تلك الوحدات الموجودة على سطح تل الجساسية (٤) .

سادساً : نقوش الغارية :

يقع تل الغارية على مسافة ٥ كم إلى الشمال من تل فويرط على الساحل الشرقي لقطر . وقد نقش على سطحه مجموعة من الوحدات المختلفة ، بعضها على هيئة دائرة تتألف من حفرة مركزية كبيرة يلتف حولها مجموعة حفر أقل اتساعاً وعمقاً ، والبعض الآخر يمثل مجموعة من أحرف اللغة الإنجليزية ، فضلاً عن ذلك يوجد نص باللغة العربية يتكون من الكلمات الآتية :

« عيسى بن ناصر البوكوارة المولود سنة ١٣٠١ »

سابعاً : نقوش الجبيلات :

تقع قرية الجبيلات على بعد عدة كيلو مترات إلى الجنوب من قرية العريش على الساحل الغربي لقطر . ويوجد على بعد ٤ كم إلى الجنوب منها تل صخري حفر على سطحه مجموعة من الوحدات المختلفة الأشكال . فنرى وحدات من حفر صغيرة على شكل صفين متوازيين ومتجاورين ، وأحياناً أربعة صفوف متجاورة ويضم كل صف منها مابين ٦ - ١١ حفرة . وفي حالة واحدة يلاحظ وجود مجرى محفور في الصخر يؤدي إلى حفرة كبيرة مستديرة يبلغ طول قطرها ١٨ سم ، وعمقها ١٤ سم . فضلاً عن ذلك توجد وحدات على هيئة دائرة تتألف من حفرة مركزية كبيرة مستديرة وعميقة ، ويلتف حولها حفر أقل اتساعاً وعمقاً . ويتراوح عددها مابين ٦ - ٨ حفر . بينما يبلغ طول قطر كل منها ما بين ١٤ - ١٨ سم ، في حين يتراوح عمقها مابين ١٠ - ١٤ سم .

ثامناً : نقوش الفريحة :

توجد هذه النقوش على سطح تل صخري قليل الارتفاع يقع بالقرب من الشاطىء الغربي لقطر على بعد ٣ كم إلى الشمال من قلعة الزبارة المشهورة . ويحيط به مساحة واسعة من الأراضي الرملية الصالحة لإقامة خيام البدو . وتكسوها نباتات صحراوية قصيرة . وتتناثر فوق سطح التل الصخري عشرات من الوحدات المختلفة الأشكال .

فنرى البعض على هيئة صفين متوازيين ومتجاورين من الحفر الصغيرة ويتراوح قطرها مابين ٥ - ٢٠ سم ، بينما يتراوح سمكها مابين ٢ - ١٠ سم ، والبعض الآخر عبارة عن تجاويف بيضوية الشكل تتراوح أطوالها مابين ٣٠ - ٥٠ سم ، وعمقها حوالي ١٦ سم وفي حالة واحدة يوجد حفرة كبيرة مستديرة يبلغ طول قطرها ٥٠ سم وعمقها ٢٦ سم . وفي حالة أخرى يوجد ثماني حفر مستديرة يربط فيما بينها مايشبه قناة رفيعة يبلغ عرضها حوالي ٣ سم . بالإضافة إلى ذلك يوجد أربعة وحدات متناثرة فوق سطح التل على هيئة خط يبلغ طوله حوالي ١٧ سم ، وعرضه حوالي ٢ سم ، ويتوج طرفه خط منحني على هيئة القوس (⊓) (٥) . إلى جانب ذلك توجد وحدة أخرى تتكون من أربعة خطوط محفورة حفرا بسيطا على سطح الصخر ، ويتراوح طولها مابين ١٩ - ٣٤ سم . وتنتهي جميعها بحفرة مستديرة يبلغ عمقها ١٥ سم فضلاً عن ذلك عثر على

طبعات محفورة تمثل أقدام بشرية منقورة في الصخر يتراوح طولها ما بين ١٠ – ٢٧ سم (٦) .

تلك هي النقوش الصخرية التي أمكن التعرف عليها فوق سطوح بعض تلال قطر . ويمكن تصنيف أشكالها إلى عدة مجموعات على النحو التالي :

المجموعة الأولى :

وحدات تتكون من حفر مستديرة تكون صفين متوازيين ومتجاورين ، وأحياناً من أربعة صفوف ، ويمتاز بعضها بوجود استدارة بسيطة تشبه إلى حد كبير شكل الهلال البسيط . (صورة ١ ، ٣) .

المجموعة الثانية :

وحدات دائرية تتكون من حفرة مركزية مستديرة وعميقة يحيط بها مجموعة من الحفر أقل اتساعاً وعمقاً . تشبه في شكلها العام الوردة أو الشمس المشعة (صورة ٢ ، ٥) .

المجموعة الثالثة :

وحدات تتكون من خطوط محفورة حفراً بسيطاً تتكرر أحياناً في شكل خط صغير يتوج نهايته خط منحني آخر على هيئة القوس ، وأحياناً أخرى تبدو في شكل مجموعة من الخطوط غير منتظمة في أشكالها وأطوالها ، وتتجمع عند حفرة كبيرة عميقة تشبه شكل النجم المذنب . (صورة ٨) .

المجموعة الرابعة :

وحدات من حفر كبيرة الحجم والعمق ، بعضها على شكل بيضوي ، والبعض الآخر على شكل قوارب ذات مجاديف على كلا الجانبين ، ويوجد حولها وفي داخلها حفر مستديرة الشكل مختلفة الحجم . (صورة ٤ ، ٦ ، ٧) .

المجموعة الخامسة :

وحدات تمثل أشكالاً آدمية أو حيوانية .

التعليـــق :

يتضح من استعراض الوحدات الخاصة بهذه المجموعات المحفورة أنها تتميز بوجود عنصر رئيسي هام ومشترك بينهما جميعاً ، وهو ماسبق وصفه بالحفر المستديرة أو الأشكال الدائرية ، والتي يمكن اعتبارها بمثابة عنصر حضاري مفضل في كل الوحدات المحفورة ، الأمر الذي يلزم بحثه ودراسته ومحاولة تفسيره . فمن استعراض نتائج أعمال البحث الأثري لمناطق خليجية عربية يتبين بوضوح أن الشكل الدائري وجد كعنصر رئيسي مفضل في العديد من المواقع الأثرية التالية :

أولاً : المملكة العربية السعودية :

فقد عثر في منطقتها الشمالية الغربية على الكثير من الوحدات التي تشبه وحدات المجموعتين الثالثة والرابعة في قطر ، وهي تتكون من حفر مستديرة منقورة على سطح صخور جبل غنيم الواقع على مسافة ٩ كم إلى الجنوب الشرقي من تيماء أحد مراكز الحضارة العربية القديمة . وقد كان هذا الجبل أحد أماكن العبادة القديمة خاصة في عهد الثموديين (٧) .

ثانياً : البحـــرين :

لعب الشكل الدائري دوراً هاماً كعنصر معماري في الكثير من المعابد والمقابر القديمة التي كشف عنها في البحرين ، فقد عثر في تل باربار الواقع شمال جزيرة البحرين على بقايا معبد يعتبر من أقدم المعابد المعروفة في منطقة الخليج العربي ، ووجد في وسط فنائه الداخلي بناءان صغيران شكل كل منهما على هيئة دائرة ، وإلى الجنوب منهما توجدقاعدتان حجريتان مستديرتان عرفتا بصخرتي المذبح ويبلغ ارتفاع كل منهما حوالي ٨٠ سم (٨) ، كما عثر أمامهما على كتلة حجرية حفر على سطحها حفرة مستديرة الشكل ، وكشف في الزاوية الشمالية الشرقية للفناء على حفرة كبيرة أحيطت بسياج من الحجر وقد اتصل بها مايشبه القناة الصغيرة مما يدعو إلى الاعتقاد بأنها تمثل مكان تقديم القرابين . وبالحفر أسفل البنائين المستديرين الموجودين في وسط فناء المعبد عثر على بقايا معبد أقدم عهداً من مباني المعبد العلوية . ويرى بعض الباحثين أن معابد باربار تمثل فترة حضارية تمتد من منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إلى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد (٩) .

ومن ناحية أخرى وجد الشكل الدائري سبيله في تخطيط مواقع مقابر الدفن الأثرية التي تم التعرف عليها بالجزيرة . فقد أقيمت مباني المقابر حول بعض التلال الصخرية على هيئة دائرة صغيرة أحيطت بدائرة أخرى أكبر (١٠) ، مما يؤكد أهمية تمثيل الشكل الدائري في هذه المباني

وصلته الوثيقة بالعقائد الدينية القديمة .

وفي مجال الآثار المنقولة نجد أن الأختام التي عثر على الكثير منها في البحرين والمعروفة باسم « أختام الخليج العربي (١١) » قد تميزت بشكلها الدائري وبنقوشها التي تضمنت رموزاً وشارات دائرية ونصف دائرية ، مما جعل بعض المهتمين يرى فيها رموزاً تعبر عن الطبيعة وعلى الأخص إله القمر ، ويؤرخها بفترة ترجع إلى الألف الثالث قبل الميلاد وبداية الألف الثانية قبل الميلاد (١٢) .

ثالثاً : دولة الإمارات العربية :

كذلك كان للشكل الدائري صلة كبيرة بمواقع الدفن التي تم الكشف عنها في دولة الإمارات العربية . فقد أسفرت أعمال البعثة الدانماركية في منطقة واحة البريمي (١٣) عن العثور على بقايا بناء دائري يبلغ قطره حوالي ٢٠ متراً فوق سطح أحد التلال الصخرية ، كما عثر بجواره على كتل حجرية كبيرة حفر فوق سطوحها وحدات من حفر دائرية الشكل تشبه إلى حد كبير وحدات المجموعة الثالثة والرابعة القطرية ، وقد تبين أن هذا المبنى عبارة عن مدفن دائري شبيه بمدافن أم النار الدائرية المشهورة (١٤) والتي يربو عددها على الخمسين (١٥) . مما يدعو إلى ضرورة اعتبار المدافن الدائرية بمثابة نمط عام لكل مدافن المنطقة والذي ساد خلال فترة الألف الثالث قبل الميلاد (١٦) .

رابعاً : دولة الكويت :

كذلك يمكن متابعة الشكل الدائري في بقايا المباني التي كشف عنها مؤخراً في جزيرة فيلكا بالكويت ، وهي الجزيرة التي يعتبرها الكثير من المهتمين بمثابة حلقة الوصل بين حضارات الخليج والبحرين وجنوب بلاد الرافدين ، كما يرجعون تاريخ بقايا مبانيها إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . (١٧) . فقد عثر في هذه الجزيرة على بقايا المعبد الخاص بكبير آلهة دلمون والمعروف باسم « انزاك » (١٨) ويتكون هذا المعبد من فناء مربع مكشوف يوجد بداخله ثلاث كتل حجرية ذات شكل دائري يعتقد أنها استخدمت كمذابح لقرابين هذا الإله . وفي مجال الآثار المنقولة عثر في هذه الجزيرة على ما يزيد عن ٤٠٠ ختماً من أختام الخليج العربي التي تتميز بشكلها الدائري والتي تعود إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . وقد حملت معظم هذه الأختام نقوشاً تمثل أشكال الخطوط والدوائر (١٩) والنجوم والأفلاك والكواكب (٢٠) . وتبين من دراستها أنها ذات طابع ديني يوضح محاولات الإنسان العربي القديم للتعبير عن أفكاره ومعتقداته الدينية خلال هذه الفترة الزمنية .

من ذلك تبين أن الشكل الدائري أو الوحدات الدائرية المحفورة لعبت دوراً كبيراً في الأفكار والمعتقدات الدينية العربية القديمة ، الأمر الذي وضح بجلاء في الكثير من المخلفات الدينية الثابتة منها والمنقولة على السواء والتي عثر عليها في العديد من بلدان الخليج العربي المحيطة بقطر .

وفي الحقيقة لم تقتصر صلة الأشكال الدائرية أو الوحدات المحفورة على سطح الصخر بالمعتقدات والمباني الدينية على هذا الجزء من آسيا بل يمكن متابعة هذه الصلة في أجزاء أخرى من هذه القارة كالهند مثلاً وفي قارات أخرى من العالم كأفريقيا وأمريكا وأوروبا (٢١) ، ولا غرابة في ذلك إذ أنها بمثابة تعبيرات بدائية لأفكار دينية ساذجة ظهرت في بعض مناطق العالم القديم خلال إحدى مراحل تطورها التاريخي ، واتسمت بالبساطة في التعبير والسذاجة في الفكر . ولن يتسع هنا المجال لسرد تلك الأماكن بالتفصيل وإنما يمكن الاكتفاء بالإشارة إلى بعض المناطق الموجودة في قارة أوروبا . فقد عثر في بريطانيا على وحدات تمثل أشكالاً دائرية محفورة على سطح الصخر بالقرب من مناطق اخنابريك Achnabreck وأرجيل Argyll واسكوتلاند Scotland ويوركشير Yorkshire ، وكذلك عثر على العديد من الوحدات الدائرية في مناطق عديدة من أسبانيا وشمال البرتغال وجدت بالقرب من مواقع الدفن المعروفة باسم « المقابر ذات الممرات » (٢٢) .

كذلك عثر في إيطاليا على وحدات دائرية مماثلة في مناطق عديدة أشهرها تلك التي تقع بالقرب من فالكامونيكا Valcamonica (٦٤ كم شمال ميلانو) والتي احتوت على مايزيد عن ١٣٠٫٠٠٠ وحدة من هذه الدوائر . ومما هو جدير بالملاحظة أن معظم الوحدات الدائرية الأوروبية حفرت على سطح كتل حجرية تمثل شواهد قبور ولوحات جنزية عمودية ورأسية ، ووجدت بالقرب من مراكز التجمع الدينية القديمة ، وقد أرجع المهتمون بدراستها تاريخها إلى ماقبل الألف الثانية قبل الميلاد .

وما دام الأمر يتصل بالعقائد الدينية بصفة عامة فلابد من استعراض ذلك في ضوء ما هو معروف من العقائد الدينية العربية القديمة .

فمن المعلوم أن الكثير من طوائف العرب الجنوبيين عبدوا الظواهر الطبيعية لاعتقادهم أن فيها قوى روحية كامنة تؤثر في حياة البشر وسائر الكائنات الأخرى (٢٣) . فكانت الشمس والقمر أول الأجرام السماوية التي جذبت أنظار هذه الطوائف ، واتضح لهم أن للشمس أثراً كبيراً في حياتهم اليومية بما تبعثه من حرارة شديدة في النهار تسبب الكثير من المتاعب . كما ظهر لهم أن للقمر

سحراً عظيماً في نفوسهم بما يبعثه من ضوء هادىء ينير طريق القوافل في الليل ، ولذلك كان هذان الكوكبان في مقدمة الأجرام السماوية التي ألهها العربي الجنوبي القديم ، ففي بادىء الأمر عبدهما مجردين ودون أن يتصور فيهما مايبدو له من صفات وأمور غير ملموسة تنتمى ألى ماوراء الطبيعة . وعندما تطورت أفكاره واتسعت مداركه في أمور ماوراء الطبيعة تصور أن لهما قوى خفية وروحاً حية وقدرات فائقة وصفات إلهية . وبذلك أخرجهما من صفاتها المادية البحتة وأضفى عليهما مظهراً لقوى روحية يمكن إدراكها من خلال ما تحدثه من آثار ملموسة على الأرض وسكانها . ثم حدث توسع في هذا التصور وصل إلى حد تقديس بعض النجوم والأحجار والآبار والأشجار وغيرها .

وإذا ما أردنا أن نستعرض الكتابات الأثرية التي يمكن جمعها في بلاد العرب وكذلك المؤلفات الكلاسيكية والعربية التي أشارت إلى الديانة العربية القديمة لوجدنا أن المحور الأساسي الذي ارتكزت عليه هذه الديانة يتمثل في وجود الثالوث الفلكي الذي يجمع بين القمر والشمس والزهرة باعتبارهم أكبر أجرام السماء . ويمكن تتبع أثر هذا الثالوث الديني وانتشاره الفكري حتى القرون الأولى الميلادية . فلقد انفرد إله القمر بالكثرة المطلقة من الأسماء والألقاب التي تضمنتها نصوص اللوحات المكتوبة (٢٤) واحتل عند العرب الجنوبيين مكانة أسمى من مكانة الشمس (٢٥) . واعتبروه الأب السماوي والجد الأكبر للقبيلة . ولذلك أطلقوا عليه لقب (أب) أحياناً ولقب (عم) أحياناً أخرى مثلما حدث عند القنيانيين تعبيراً عن عطفه على المتعبدين له ورحمة بهم ، فضلاً عن ألقاب أخرى كلقب (ود) عند المعينيين و (المقه) عند السبئيين والتي تعني (حب) ويقصد بها الحب الإلهي ، ولقب (المقه) عند السبئيين ثم الأحباش والذي يحمل معنى (اللمعان والقوة) . ولذلك اختير الثور عندهم كحيوان مقدس نظراً لقوته ولقرنيه اللذين يذكران بالهلال (٢٦) ، كما يوجد لقب (ورخ) بالعربية اليمنية والحبشية والذي يعني (القمر والهلال) ، ومنه جاء الفعل (أرخ) في العربية الفصحى والذي يعني دورة القمر حسب الأيام والشهور ، وكان العرب الجنوبيون يستخدمون بكثرة ألقاب الآلهة دون أسمائها تعبيراً عن التكريم والتقديس والتأدب والاحترام ، إذ كان من غير المقبول أن يخاطب العربي القديم رب الأرباب بذكر اسمه مثلما يخاطب غيره من بقية البشر (٢٧) .

كذلك أشار القرآن الكريم ألى هذه العبادة بقوله سبحانه وتعالى في سورة فصلت (آية ٣٧) :

﴿ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله

الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾ .

أما الشمس فقد نظر إليها على أنها انثى وزوجة لإله القمر ولذلك احتلت المرتبة الثانية بعد إله القمر . وقد عبدت في أماكن متعددة من شبه الجزيرة العربية منها قتبان وحضر موت وسبأ . كما عرفت عند السبئيين باسم (ذات حميم) ، (ذات حمى) بمعنى المتقدة أو الساخنة أو ذات الحرارة القوية ، وهو اسم لا يحمل أي معنى عقلي لهذا المعبود ، بل يصفه كما هو في الطبيعة كجرم سماوي (٢٨) ، مما يشير إلى أن الاسم قديم ويعود إلى عصور سحيقة . أما في النقوش القتبانية فعرفت باسم (ذات صهرون) و (ذات رحبن) وفيه مايشير إلى الحرارة الشديدة وإلى أنه زوج الإله (ود) .

ويكمل الزهرة باعتباره أكثر نجوم السماء تألقاً ولمعاناً هذا الثالوث الفلكي ليكون ابناً للعائلة المقدسة والمشكلة من القمر الوالد والشمس الأم . وقد عرف هذا الإله باسم (عثتر) لدى سكان المناطق الجنوبية لشبه الجزيرة العربية (٢٩) وهو يقابل الإله عشتار عند البابليين والآشوريين و (عشتارت) لدى الكنعانيين والفينيقيين والأحباش (٣٠) مما يدل على أنه كان من الآلهة الشائعة حتى القرون الأولى الميلادية .

ومن ناحية أخرى يتفق الفن العربي القديم مع الأسماء والألقاب التي تضمنتها الكتابات العربية القديمة في تأليه وعبادة هذه الكواكب الثلاثة . ويتبين ذلك في كثير من الرسوم والنقوش التي سجلها العربي القديم في كل مناسباته . ولم يكن أسلوب تسجيله وتعبيره ممثلاً في هيئة تماثيل مجسمة مثلما كان الحال في بعض بلدان العالم القديم الأخرى . إذ أنها لم تكن معروفة في مناطق العرب الجنوبية – وإذا كانت التماثيل قد وجدت في المناطق الشمالية فمن الثابت أنها كانت دخيلة ، جاءت من شعوب شمالية ذات حضارة متقدمة (٣١) . ولذلك عبر الإنسان العربي القديم عن هذه الآلهة الثلاثة برموز وشارات بدائية تشبه في شكلها العام تلك الصورة التي كان يراها عليها في السماء الصافية وقد تضمنت رسوم بعض اللوحات والنصب التذكارية جانباً من هذه الرموز . فنراها ترسم إله القمر بشكله الكامل وأحياناً ترمز إليه بشكل هلال أفقي ، بينما ترمز إلى آلهة الشمس بشكل دائرة وترمز إلى إله الزهرة بشكل نجم مذنب . (٣٢) .

ولا شك أن ارتباط الإنسان العربي بهذه الأمور أو الشارات الدينية كان قوياً باعتبارها أحد المستلزمات الضرورية لأداء الطقوس الدينية كي يتقرب بها إلى الآلهة ويعمل على استرضائها . لكنه كثيراً ما كانت الرموز الدينية تحتل مكانة عالية في بعض مراحل التطور الحضاري للشعوب البدائية بدرجة تجعلها تطغى على الأهداف والمعاني الدينية التي تمثلها ، ومن ثم تصبح في حد ذاتها

هدفاً مقصوداً يقيم الإنسان لها الصلوات والرقصات والأهازيج والأفراح .

وعلى هذا الأساس يود المرء أن يستنتج مما سبق استعراضه النتائج الآتية :

أولاً : أن العثور على نقوش صخرية في منطقة قطر ليس بالأمر المستغرب . فقد أثبتت الدراسات الأثرية لمناطق ساحل الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية وجود مراكز حضارية قديمة لعبت دوراً هاماً بالمنطقة منذ بداية مرحلة الاستقرار ، وقد ساعد على ازدهارها ماتميزت به من موقع استراتيجي هام كان يربط بين حضارات بلاد مابين النهرين من جهة وحضارات وادي السند من جهة أخرى ، فضلاً عما تمتعت به من مميزات طبيعية وإمكانيات محلية دفعت السكان نحو الأنشطة التجارية وإقامة العديد من الموانى والمراسي المحمية . وبالتدريج أصبح الخليج العربي ممراً رئيسياً للسفن المحملة بالبضائع المختلفة وشرياناً حيوياً لإنعاش اقتصاديات المنطقة .

ويمكن تتبع بقايا هذه المراكز (٣٣) في مواقع أثرية عديدة تمثلت في جزيرة فيلكا والبحرين وتاروت وأم النار والبريمي وغيرها . ولقد تميزت هذه المواقع بوفرة عطائها الأثري الذي يمثل فترة زمنية طويلة تبدأ من الألف الثالث ق . م وتستمر حتى أواخر الألف الثانية ق . م . بينما لم يعثر حتى الآن على مادة أثرية منتمية إلى الألف الأول ق . م وربما يرجع السبب في ذلك إلى وقوع المنطقة تحت سيطرة الامبراطورية الآشورية ، ومن بعدها الامبراطورية الفارسية الاكمينية حتى أواخر الألف الأولى ق . م .

ثانياً : يميل المرء إلى الاعتقاد بأن النقوش الصخرية الموجودة في قطر تمثل رموزاً أو شارات بدائية ذات صلة وثيقة بنظرية الثالوث الفلكي الدينية السابق الإشارة إليها والضاربة بجذورها في أعماق التاريخ العربي القديم ، وقد حفرها سكان قطر القدماء على سطح التلال السابق ذكرها على أساس أنها أماكن صخرية مكشوفة للسماء ومرتفعة عن مستوى سطح الأرض الرملية وصالحة لتجمعاتهم ولمناسباتهم ولاحتفالاتهم ، ثم مالبث بمرور الوقت ان اكتسبت من وجهة نظرهم قدسية خاصة دفعتهم إلى حفر رموزهم وشاراتهم الدينية على سطحها وإجراء مايلزم من طقوس وصلوات ونحر للذبائح وتقديم القرابين لآلهتهم الفلكية حولها . وهي الآلهة المتمثلة في الثالوث المقدس المكون من القمر والشمس والزهرة والذي عبر عنه الفن العربي القديم برموز الهلال والدائرة والنجم المذنب .

وبالتالي يعتقد المرء ان وحدات المجموعة الأولى في محفورات قطر المؤلفة من صفين متوازيين تمثل في حقيقتها الشكل الهلالي البسيط للقمر ، وتلك المؤلفة من أربعة صفوف تمثل شكلين متجاورين لهذا الهلال القمري البسيط .

أما وحدات المجموعة الثانية التي تتكون من حفرة مركزية عميقة يحيط بها مجموعة من الحفر الأقل عمقاً فهي تمثل الرمز أو الشارة الخاصة بآلهة الشمس ، ووحدات المجموعة الثالثة التي تتكون من خطوط تنتهي إلى حفرة عميقة فهي تمثل الرمز الخاص بإله الزهرة .

وبناء عليه يمكن القول بأن هذه الوحدات الدائرية المتباينة الشكل والمحفور بعناية كبيرة فوق سطح التلال الصخرية لا تخرج عن كونها رموزاً بسيطة لأفكار وعقائد دينية ويحتمل أنها تمثل مرحلة ساذجة من مراحل نظرية الثالوث الفلكي الدينية التي سادت جنوب شبه الجزيرة العربية إن لم تكن كل أرجاء هذه الجزيرة . فقد حفرت بأسلوب قطري بسيط يتفق إلى حد كبير مع أسلوب التعبير الفني البدائي عند العربي القديم ، فضلاً عن أنها تتشابه في أشكالها العامة المتمثلة في أشكال الهلال والدائرة والنجم المذنب مع ما تظهر عليه صور وأشكال هذه الكواكب في سماء الجزيرة العربية الصافية أمام العين المجردة للإنسان صاحب الفكر البسيط .

ثالثاً : إذا ما حاول المرء تحديد الفترة الزمنية لهذه المرحلة البدائية التي حفرت اثناءها هذه الوحدات فإنه من الصعب تعيين ذلك بدقة ، لكنه على الرغم من ذلك فإنه توجد عدة اعتبارات جديرة بالملاحظة والاهتمام نسردها على الوجه التالي :

١ - تبين من الفحص الدقيق لجوانب وأعماق الحفر المستديرة التي تتشكل منها هذه الوحدات أن الأدوات المستخدمة في تنفيذ عمليات الحفر فوق السطح الصخري لا يمكن أن تكون أدوات حجرية نظراً لما تتمتع به من صلابة محدودة لا تساعد على تشكيل هذه الوحدات ، ومن ثم فإن استخدام أدوات معدنية أمر لا يتطرق إليه شك . وغالباً ماتكون هذه الأدوات المعدنية مصنوعة من مادة البرونز الأكثر صلابة وذات أطراف مدببة لكي تتناسب مع تنفيذ عمليات الحفر فوق سطح الصخر .

ومن ناحية أخرى يرى معظم المؤرخين أن بداية عصر استخدام المعادن في مناطق العراق والشام وغيرها من المناطق المحيطة بشبه الجزيرة العربية تعود إلى أوائل الألف الثالثة قبل الميلاد ، حيث تم اكتشاف معدن النحاس وتلاه معدن البرونز الذي استخدم فترة زمنية طويلة قبل أن يتم اكتشاف معدن الحديد حوالي عام ١٢٠٠ ق . م وحيث أن المرء يميل إلى الاعتقاد باستخدام آلات برونزية في عمليات الحفر فإن ذلك يتفق مع مرحلة انتشار هذا المعدن وشيوع استخدامه بالمنطقة وهي المرحلة التي ظهرت خلال النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد (٣٤) .

٢ - عثر في معابد باربار بالبحرين على محفورات تشبه بعض الوحدات المحفورة في قطر ، وذلك في الفناء الداخلي للمعبد الذي كان يضم مباني المذبح المقدسة . كذلك عثر على محفورات مشابهة على سطح بعض كتل حجرية وجدت في أحد المستويات القديمة للمعبد . وقد أرجع المكتشفون تاريخ بناء هذه المعابد إلى تلك الفترة الحضارية التي تمتد من منتصف الألف الثالث حتى أوائل الألف الثاني قبل الميلاد .

٣ - امتازت الأختام ذات الشكل الدائري والمعروفة باسم « أختام الخليج العربي » التي عثر عليها بالمئات في كل من البحرين والكويت بنقوشها التي تمثل أشكال الدوائر ونصف الدوائر والخطوط المختلفة ، وهي تشبه في شكلها العام بعض الوحدات المحفورة في قطر . وقد تبين من دراسة هذه الأشكال أنها رموز أو شارات دينية مقدسة أغلب الظن أنها لكوكبي القمر والشمس وبعض النجوم التي اعتاد العربي القديم رؤياها . وقد أرجع المهتمون تاريخ هذه الأختام إلى منتصف الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد .

بناء على ذلك يميل المرء إلى الاعتقاد بأن نقوش قطر تعاصر تلك الفترة الزمنية التي شهدت استخدام الأدوات البرونزية والتي سبقت بقليل مرحلة ازدهار المراكز الحضارية الخليجية ذات الموقع الاستراتيجي بين حضارة بلاد مابين النهرين ووادي السند . وهي فترة يمكن تحديد زمنها على وجه التقريب من بداية الألف الثالث إلى بداية الألف الثاني قبل الميلاد .

رابعاً : يود المرء أن يرى في تمثيل الحفر المستديرة لدى كافة وحدات المجموعات المحفورة مايمثل اطباقاً أو كؤوساً تقدمها القرابين البسيطة التي كانت تملأ بدماء الذبائح المقدمة قرباناً لالهة السماء المقدسة . ولا شك في أنه كان يتم إجراء الكثير من الطقوس والصلوات على سطح التلال أمام وحول هذه الرموز . إلا أنه ليس من السهل خصوصاً في ضوء الأبحاث الأثرية المتوافرة الآن التحدث عن نوع هذه الطقوس أو طبيعتها أو أسلوب أدائها .

على أية حال فإن كل ما ذكر عن النقوش الصخرية في دولة قطر لا يعدو سوى كونه محاولة قصد بها التعرف على طبيعة هذه النقوش ودوافعها وكشف النقاب عن الأغراض التي من أجلها حفرت على سطح التلال السابق ذكرها ، وذلك في ضوء ما هو متوافر من أدلة أثرية قليلة . وقد يتطلب الأمر إعادة المحاولة من جديد عندما يتم مسح ودراسة كافة المراكز الحضارية لساحل الخليج العربي دراسة علمية أثرية شاملة . وهذا ما نرجو أن تضطلع به الأجهزة العلمية المهتمة بأبحاث التراث القديم في كل أرجاء المنطقة الخليجية .

الهوامـــش

١ - H. Kapel, Atlas of the Stone–Age Cultures of Qatar Vol. 1 Page 31.

٢ - A. Ghosh, Qatar, Unesco, P.6.

٣ - B. De Cardi, Qatar Archaeological Report, P. 190.

٤ - B. De Cardi, Ibd, P. 190.

٥ - J. Kuml, Prehistoric Discoveries in Qatar, P. 175.

٦ - J. Kuml, Ibd, P. 176.

٧ - وزارة المعارف السعودية : مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية ، ص ١١٢ .
(الثموديون نسبة إلى ثمود من عرب البائدة ، وهم قوم النبي صالح الذي دعاهم إلى عبـادة الله فخالفوه . وقد ورد اسم ثمود مع اسم عاد في عدة سور من القرآن الكريم) .

٨ - سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين ٤ ، ٣ ق . م ص ١٢٤ .

٩ - سليمان البدر : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

١٠ - سليمان البدر : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

١١ - سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين ٢ ، ١ ق . م ، ص ١٢٧ .

١٢ - سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين ٤ ، ٣ ق . م ١٠٦ ، ١٣٤ .

١٣ - G. Bibby, Looking for Dilmun, London, P. 150.

١٤ - سليمان البدر : المرجع السابق ص ١٦٠ .

١٥ - سليمان البدر : المرجع السابق ص ١٦٥ .

١٦ - سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين ٢ ، ١ ق . م ص ٣٥ .

١٧ - وزارة الإرشاد والأنباء الكويتيـة : تقرير شـامل عن الحفريـات الأثريـة في جزيرة فيلكا ، ص ٢٠ .

١٨ - وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية : التقرير السابق ص ٩٧ ، ٩٨ .

١٩ - وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية : التقرير السابق ، شكلي ٧٦ ، ٧٧ ص ١٤٣ .

٢٠ - سليمان البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين ٤ ، ٣ ق . م .

٢١ - J. Mc Mann, Riddles of the Stone Age, P. 98.

٢٢ - J. Mc Mann, Ibd, P. 88–91.

٢٣ - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جزء ٦ ، ص ٢٢ ، ٥٠ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص ٤٧٨ .

٢٤ - محمد بيومي مهران : دراسة حول الديانة العربية القديمة . ص ١٩ .

٢٥ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية ، ص ٤٦٢ .

٢٦ - فؤاد حسنين علي : ترجمة التاريخ العربي القديم ، ص ٢٠٧

، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

٢٧ - جواد علي : الجزء ٦ ، ص ٥٣٦ .

، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٢ .

٢٨ - فؤاد حسنين علي : ترجمة : التاريخ العربي القديم ، ص ٢١٨ .

٢٩ - السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ٤٦٢/٤٦١ .

٣٠ - محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٤ .

٣١ - فؤاد حسنين علي : ترجمة : التاريخ العربي القديم ١٩٦ .

٣٢ - فؤاد حسنين علي : المرجع السابق ص ١٩٧ .

٣٣ - سليمان البدر : المرجع السابق . ص ١٩٢ .

٣٤ - رشيد الناضوري : جنوب غربي آسيا وشمال أفريقيا . ص ٢٩١/٢٩٠ .

مصـــادر البحـــث

باللغة العربيـة :

١ - السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب في عصر الجاهلية . بيروت ١٩٧١ .

٢ - جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (٩ أجزاء) بيروت - بغداد ١٩٧٦ .

٣ - د يتلف نيسلن - ترجمة : فؤاد حسنين علي : التاريخ العربي القديم . القاهرة ١٩٥٨ .

٤ - سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الرابع والثالث قبل الميلاد . الكويت ١٩٧٤ .

٥ - سليمان سعدون البدر : منطقة الخليج العربي خلال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد . الكويت ١٩٧٨ .

٦ - عمر فروخ : تاريخ الجاهلية . بيروت ١٩٦٤ .

٧ - ج.ج لوريمز - ترجم وطبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر : دليل الخليج - الجزء السادس .

٨ - محمد بيومي مهران : دراسات حول الديانة العربية القديمة ١٩٧٨ .

٩ - وزارة المعارف السعودية : مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية إدارة الآثار والمتاحف . الرياض ١٩٧٥ .

١٠ - وزارة الإرشاد والأنباء الكويتية : تقرير شامل عن الحفريات الأثرية في جزيرة فيلكا . الكويت ١٩٦٣ .

مراجـــع أجنبية

1. B. De Cardi : Qatar Archaeological Report, State of Qatar. 1978.

2. A. Ghosh : Qatar, Report on the protection of cultural heritage and development of a Museum, Unesco, Paris 1968.

3. J. Kuml : Prehistoric Discoveries in Qatar, 1957.

4. Jean Mc Mann : Riddles of the Stone Age. London 1980.

5. G. Bibby : Looking for Dilmun. London 1970.

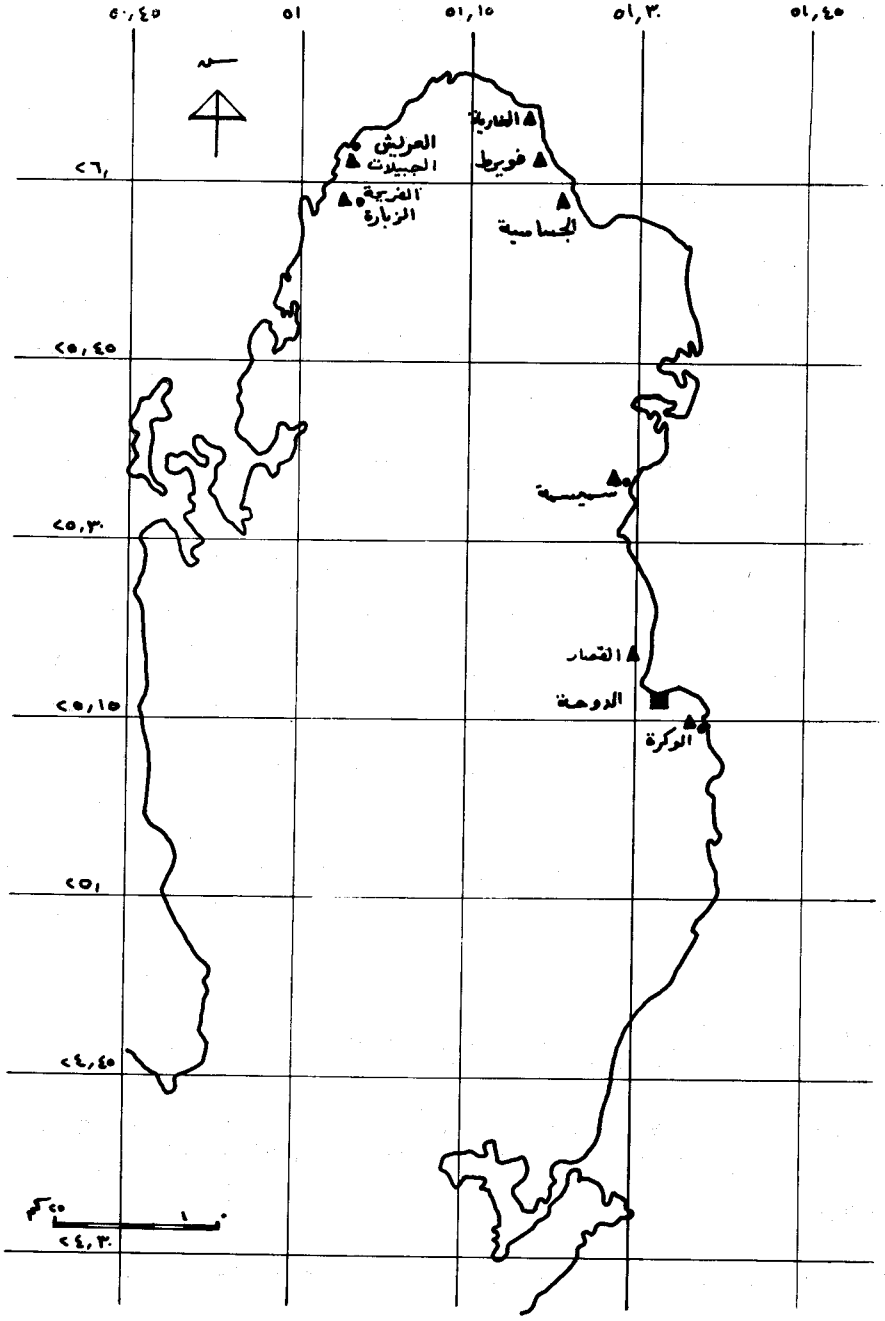

خريطة قطر لتوضيح مواقع النقوش الصخرية القديمة

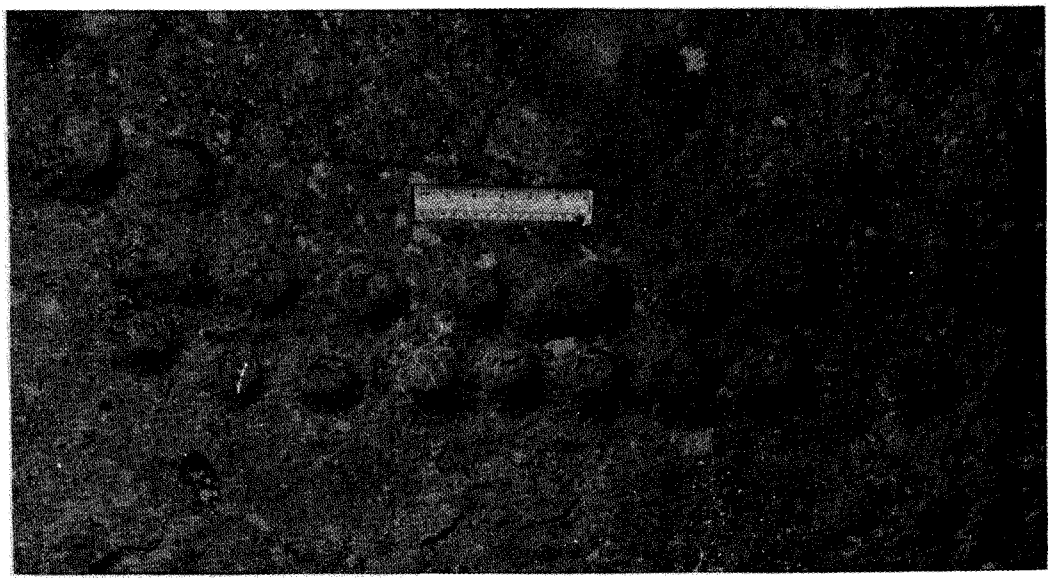

(١) إحدى وحدات المجموعة الأولى المكونة من صفين منقوشة على سطح تل الجساسية .

(٢) إحدى وحدات المجموعة الأولى المكونة من صفين تتوسط وحدتين من وحدات المجموعة الثانية وقد نقشت على سطح تل فويرط .

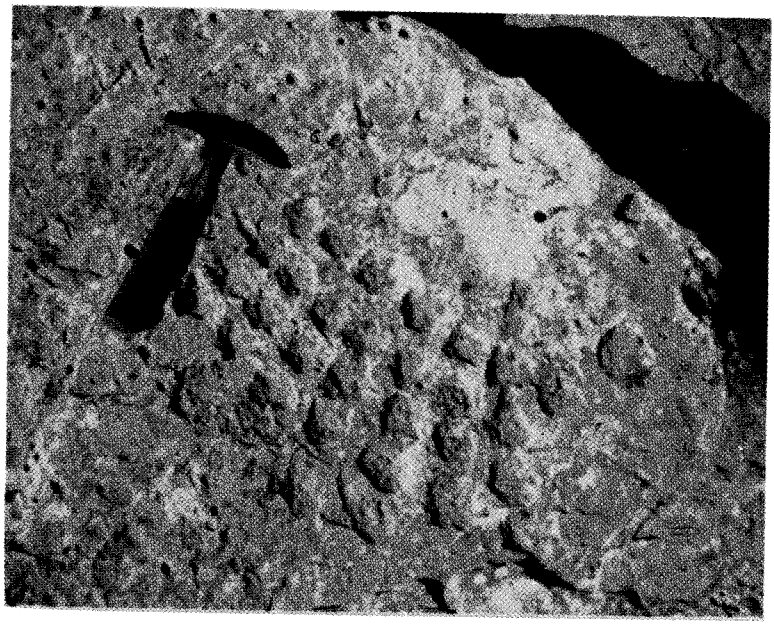

(٣) إحدى وحدات المجموعة الأولى المكونة من أربعة صفوف منقوشة على سطح تل الجبيلات .

(٤) إحدى وحدات المجموعة الرابعة على هيئة قارب بمجاديف وإلى جواره وحدة من المجموعة الأولى المكونة من صفين منقوشة على سطح تل الجساسية .

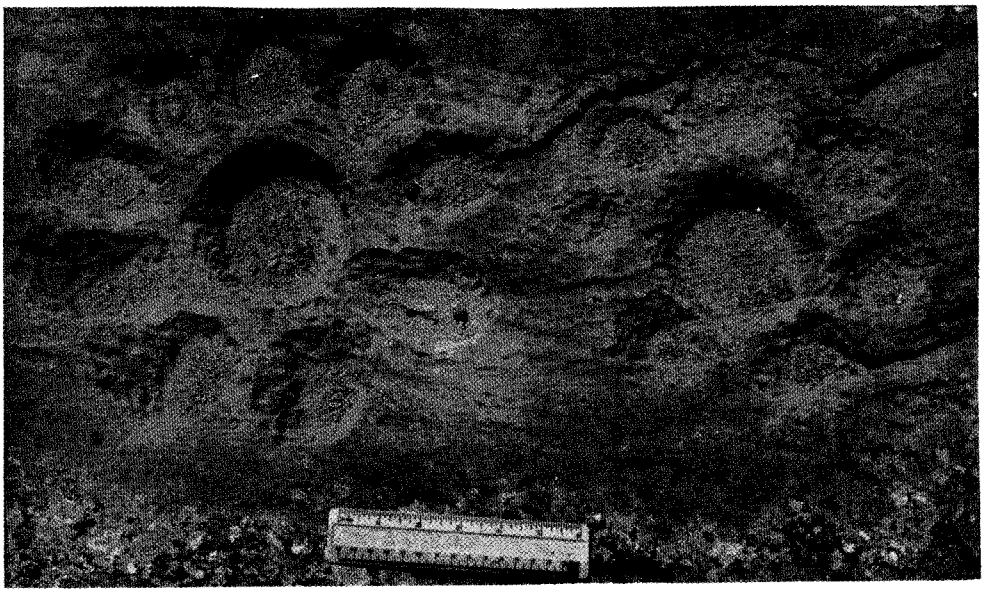

(٥) بقايا وحدتين من وحدات المجموعة الثانية منقوشة على سطح تل الغارية .

(٦) عدد من وحدات المجموعة الرابعة التي تمثل عدد من القوارب المختلفة الأحجام منقوشة على سطح تل الجساسية .

(٧) إحدى وحدات المجموعة الرابعة على هيئة حفرة بيضوية منقوشة على سطح تل الفريحة .

(٨) إحدى وحدات المجموعة الثالثة على هيئة نجم مذنب منقوشة على سطح تل الجساسية .